منزل الدفينة

من متعشى الزجيج واصلت المسير باتجاه «الدفينة» وعلى بعد أربعة وعشرين كيلاً ونصف الكيل عثرت على علم كبير من أعلام الطريق، وهو واقع على خط العرض ٢٩° ٢٩' ٢٣" وخط الطول ٠٩° ٠٧' ٤٢".

وقبل أن أصل الدفينة بأربعة أكيال وجدت علماً آخر في مكان مرتفع يرى من بعد يقع على خط العرض ٠٩° ٢٠' ٢٣" وخط الطول ٢٧° ٥٩' ٤١".

انظر إلى صورة هذا العلم رقم (٤٩).

منظر رقم (٤٩) أحد الأعلام الواضحة يقع قبل «الدفينة بأربعة أكيال، والأعلام هناك متتابعة

لن نتوقف في هذا المنزل من منازل الطريق لأنه من المنازل التي لم يطرأ على أسمائها تغيير، وقد أصبحت «الدفينة» بلدة، وكانت من الاستراحات القائمة على الطريق القديم بين الرياض والحجاز قبل أن يزفت الطريق الذي تركها عنه شمالاً بالنسبة للذاهب إلى مكة.

والدفينة وقد تسمى «الدثينة» بإبدال الفاء ثاء؛ من الموارد المشهورة في الجاهلية والإسلام.

المتعشى بعد الدفينة:

لم أقرأ لأحد من علماء البلدان والمؤرخين قديماً وحديثاً مَنْ ذكر متعشى بين الدفينة ومنزل «قباء» وقد ذكرت هذا للأخ عبد العزيز الشائع ونحن في مجال الحديث عن منازل الطريق في هذه الناحية حيث أبديت له تعجبي من هذه المرحلة من مراحل الطريق التي لم يذكر فيها متعشى.

فأفادني أن أحد سكان هذه الجهة ذكر له بأن هناك محل آثار واقعاً بين الدفينة وقباء ويسمى المكان «البُرَيْكة». فقلت إذاً هذا هو المتعشى بعد الدفينة. وفي رحلة إلى «المُوَيْه القديم» كان يرافقني فيها الأخ سعد الماضي مررنا على منزل «الدفينة» سالكين طريق الحاج القديم، وعندما حاذينا جبيل « المُرَيْبيخ» سألنا بعض من يقطنون هناك من البادية عن «البريكة» وقليل هم الذين يعرفونها، ولكن أحد كبار السن أفادنا أنها قريبة منهم وأنها واقعة على الطريق القديم للحاج، وقد رافقنا مشكوراً حتى أوقفنا على المكان.

وقد وجدنا فيه عدداً من المباني الحجرية المتهدمة؛ أما البركة فلم يبق لها أي أثر فقد انطمرت مع مرور الزمن، وهذه الآثار واقعة في واد يسمى «المَمْلُوهَة» على خط العرض ٢٥° ٠٨' ٢٣" وخط الطول ١٩° ٤٨' ٤١" وهذا المتعشى يقع في المنتصف تماماً بين منزلي الدفينة وقبا؛ حيث يبعد عن الدفينة ستة وعشرين كيلاً ونصف الكيل، وعن «قُبَا» البعد نفسه بدون زيادة أو نقصان !! **انظر إلى مكانه على الخارطة رقم (٥).**

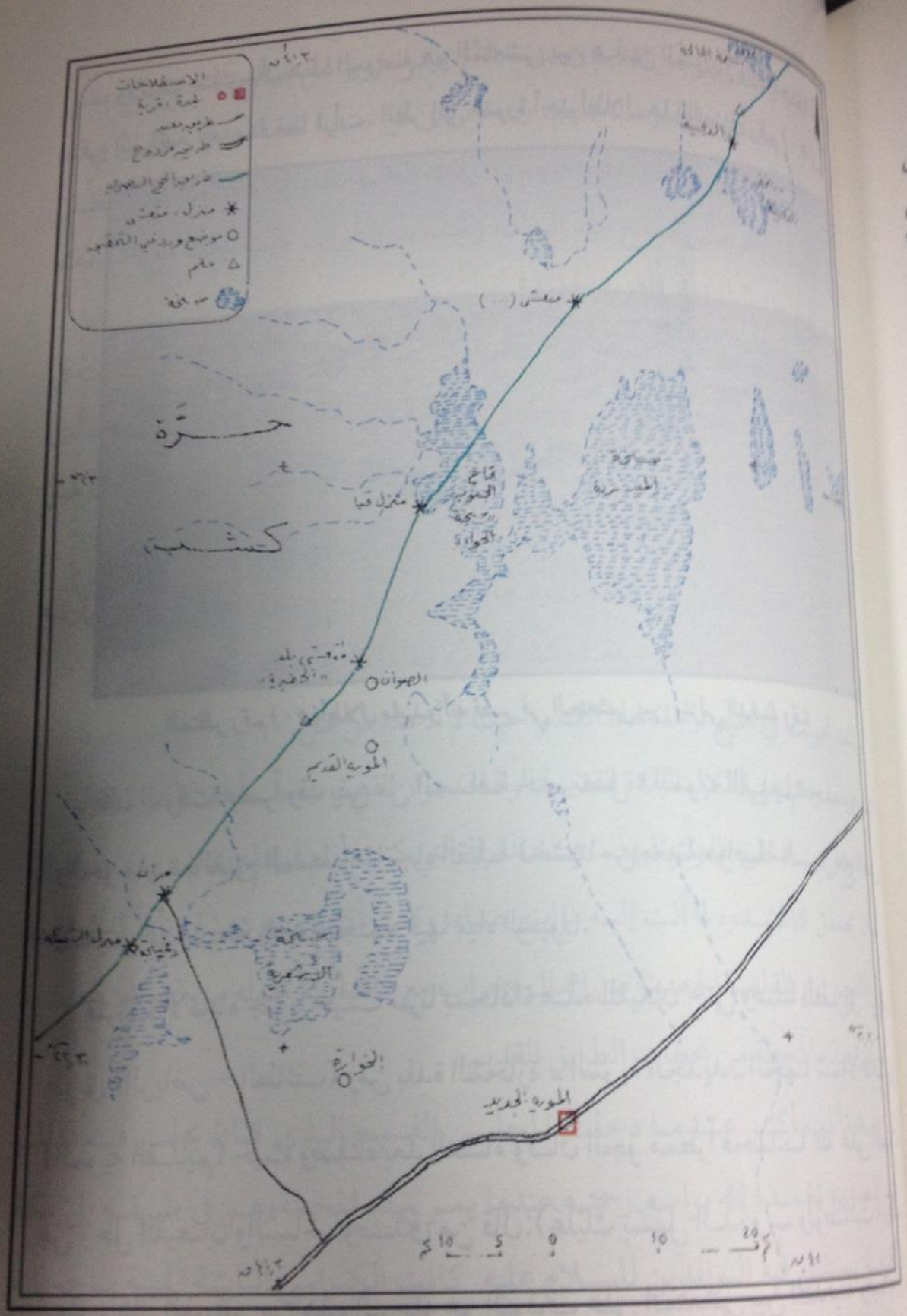
الاصطلاحات
مدينة، قرية
طريق معبد
طريق مرصوف
طريق غير معبد
منزل، محطة
موضع ورد في الخريطة
علم
حرة
كشب
منزل قبا
قباء
الجوهان
الموية القديم
منزل الدبيلة
رشيان
الموية الجديد
الجواءة
٢٤°٣٠
٢٤°٤٥
٣٦°٣٠
٣٦°٤٥
١٥ ٠ ١٥ ٣٠ ٤٥ كم

خارطة رقم (٥)

ولاشك عندي بأن هـذا الموضع هو المتعشى بين هـذين المنزلين وإن لم يرد لـه ذكر في المراجع القديمة مما قرأت. **انظر إلى صورة أحد أطلال هذا المنزل رقم (٥٠).**

المنظر رقم (٥٠) أطلال مايبدو أنه قصر في المتعشى بين منزلي الدفينة وقبا

كان الـوقت عصراً وقد بقي من المسافـة حتى نصل « المويه القـديم» خمسين كيلاً، والجو ملبـد بالغيوم الممطـرة باتجاه القبلـة فخشينا من مغبـة مواصلة السيـر مع الطريق لأنه يمر عبر سبخة واسعة تجتمع فيها مياه السيول.

فقررنـا الاتجاه جنوباً حيـث سرنا بمحاذاة هـذه القيعان حتى وصلنا الطـريق المزفت طريق (الرياض - الطائف) ومن بلدة المحازة ـ المويه الجديد ـ اتجهنا شمالاً قاصدين (المويه القـديم) حيث وصلناه بعد العشاء وكـان الجو ممطراً فحمدنـا الله على السلامة من وحل القيعـان والسباخ، وصـدق من قال:(عَلَيْكَ بِسَهْلِ الـدُّرُوبِ ولَوْطَـالَتْ) وأكمل المثل. كان الغـرض من هذه الـرحلة هو الـوقوف على المتعشى بين الـدفينة وقبـا ، وكذا زيـارة منزل « قبـا » حيث لم أزره من قبل، وكـذا البحث عن المتعشى الـواقع بينـه وبين «مَرَّان» واسمه «بَلَد».

عندما وصلنا المويه القديم وجدنا الأخ عبد العزيز بن صالح الشايع مع بعض الإخوان حيث كنا على موعد معهم، وقد قدموا من مدينة الطائف في رحلة إلى هذه البلدة المهجورة لاستعادة البعض منهم ذكريات الطفولة، وقد اتخذوا من مبنى المطار مقراً للمبيت، وهو مبنى مسلح جيد البنيان، ولكنه بدون أبواب حيث نزعت مع الشبابيك بعد الرحيل عن البلدة إلى «المويه الجديد».

في صباح اليوم التالي كان لنا جولة على أطلال تلك البلدة المهجورة التي كانت في زمن قريب تعج بساكنيها وبمن يمر بها من سالكي الطريق حيث كانت إحدى المحطات الهامة في الطريق الترابي بين الرياض والحجاز، وأشهر تلك الأطلال هو «قصر المويه».

إن هذا القصر عبارة عن قلعة واسعة الأرجاء مبنية بالحجارة المهذبة وتمت عمارته على أحسن طراز مما يجعل المرء يقف مشدوهاً أمام تلك الأزاج البديعة.

لقد تجولت في جميع أرجاء هذا القصر حيث لم أدخله من قبل.

عندما وقفنا على أطلال البلدة القديمة الواقعة بجوار القصر سمعت أحد الإخوان يقول:

-وهو من عاش طفولته فيها-: هذه الغرفة التي كنت أنام فيها، ويعدد بيوت الجيران كان يحملق كالمشدوه لما آلت إليه مرابع صباه، وكنت أكثر منه دهشة وتألماً لما آل إليه هذا القصر بل القلعة الحصينة من إهمال وخراب مع ماكانت تحمله من ذكريات عندما كنا نمر بهذه المحطة من محطات الطريق القديم.

وقد تألمت أكثر عندما دخلت المجلس الفسيح الذي كان يجلس فيه الملك عبد العزيز تغمده الله بواسع رحمته عندما يمر بهذه المحطة وهو في طريقه إلى مكة المكرمة يستقبل فيه الوافدين للسلام عليه. كانت الكراسي الثابتة المبنية بالحجارة والمطلية بالجص مازالت عامرة وبحالة جيدة **انظر إلى صورتها رقم (٥١).**

وانظر إلى صورتي القصر من الخارج المنظرين رقم (٥٢) ورقم (٥٣).

منزل قبا

قُبَا: هو المنزل الواقع بعد منزل «الدفينة» للمتوجه إلى مكة، وهو غير قباء الواقع قرب المدينة المنورة.

بعد تجولنا في الموبه القديم وزيارة ما حوله من الآثار، توجهنا إلى منزل «قبا» وكان الأخ عبد العزيز قد وقف على آباره في العام الماضي.

ولكن عندما وصلناه لم نجد للآبار أثراً حيث طمرتها السَّبخة القريبة منها من كثرة السيول وتسمى هذه السبخة «سبخة الحواء» واسمها القديم «قاع الجنوب» بدليل قول الأصفهاني وهو يصف الطريق من اليمامة إلى مكة المكرمة:

(... ثم تجوز ذلك فترد الدثينة، وهي قرية في طريق البصرة إلى مكة. فترد قاعاً يقال له قاع الجَنُوب، وهو قاع وَخِلٌّ إذا أصابه المطر.

وكان محمد بن سليمان أمر برصيف يرصف فيه من الحجارة فرصف حتى بقي نحو من ثمانية أميال ولم يتم. وهو القاع الذي كان به الشَّنَّتَان، وهما لصَّان كانا يقطعان الطريق، ثم قُبَا[1]).

وقال الحربي عن هذا المنزل وهو يعدد منازل الطريق:

(ثم قُبَا. أخبرني ابن أبي سعد عن النوفلي عن أبيه قال: قبا في الحرة.

ومن الدثينة إلى قبا سبعة وعشرون ميلاً، وبقبا آبار قريبة الماء[2])

أقول: إن منزل قبا ليس في الحرة، ولكنه واقع بجانبها الشرقي، وعندما يصدر الحاج منها يصعدون إلى أعلا الحرة فيسلكونها.

---

(١) بلاد العرب: ص ٣٧١.

(٢) المناسك: ص ٦٠٠.

ومنزل قبا واقع على خط العرض ١٥° ٥٧ ٢٢ وخط الطول ٣٣ ٣٨ ٤١.
وهو يبعد عن مرّان خمسة وأربعين كيلاً على الشمت.

وبما أن هذا المنزل واقع في الجهة الغربية من السبخة الواسعة التي كانت قديماً تسمى «قاع الجنوب» فإن الواقف عند الآبار يشاهد الطريق المرصوف في وسط القاع وهو مدرج للطائرات، ولازال قسم منه يبلغ طوله أكثر من كيلين ظاهراً للعيان رغم مرور هذه السنين الطويلة.

انظر إلى الطريق المرصوف بالحجارة الصورتين رقم (٥٤) ورقم (٥٥).

منظر رقم (٥٤) الطريق الذي رصفه «محمد بن سليمان» يرحمه الله في «قاع الجنوب» المسمى حالياً «سبخة الحواء» وقد غطت السبخة الحجارة المرصوفة التي كانت تمشي عليها الإبل عندما يمتلىء القاع بمياه الأمطار.

متعشى بلد

هذا المتعشى ذكره أبو إسحاق الحربي بقوله:

(وعلى ثمانية أميال من قبا متعشى يقال له بلد، فيه آبار عذبة[1]).

الواقع أنني لم أتوقع العثور على هذا المتعشى المسمى «بلد» لأنني لم أقرأ لمؤلفي عصرنا الحاضر من ذكره. يضاف إلى ذلك أن الطريق من قبا إلى منزل «مَرَّان» يسير عبر حرة يصعب على السيارة السير فيها.

وبما أن المسافة من قبا إليه ثمانية أميال كما ذكر الحربي فقد رسمت على الخارطة خطاً طوله ستة عشر كيلاً فتبين لي أن نهاية الخط تشير إلى ماء اسمه الحالي «الحُفيِّرة» شمالاً من المويه القديم.

عندما أخبرت الأخ عبد العزيز الشايع عن رغبتي في الوقوف على هذا الماء قال:

الحُفَيِّرة تقع بالقرب من «الصُّوَّان» وأنا أعرف هذه الناحية.

لذا قررنا الذهاب إليه عن طريق يصعد إلى الحرة (حرة كشب) من ناحية بلدة المويه وكان يرافقنا في هذه الرحلة الأخ سعد الماضي.

عندما وصلنا إلى ماء «الصُّوَّان» الواقع في قاع وسط الحرة فيه نخل قليل، وفيه شاهدنا آثار عين قديمة عثر عليها صاحب المزرعة فحفر عدة مجسات لهذا المجرى ومن هذه المجسات يتضح أنها قادمة من ناحية الشمال الغربي، وهذا المجرى يشبه في تصميمه مجرى عين «ضرية» في سعته وشكله المقوس.

ويقع الصوان على خط العرض ٥١° ٤٧َ ٢٢ْ وخط الطول ٥٠° ٣٤َ ٤١ْ.

---

(١) المناسك: ص ٦٠٠.

من الصوان اتجهنا إلى «الحَفَيِّرة» المجاورة له من الشمال، ويوجد بها بعض المساكن والمزارع الصغيرة وبجوارها شاهدنا أحد أعلام الطريق القديم فاتجهنا إليه؛ فوجدناه سليماً لم يتهدم منه سوى الناحية الغربية من أعلاه، وهو العلم الوحيد الذي عثرت عليه وهو على حالته منذ بني رغم تعاقب السنين التي مرت عليه، وشكله مربع وله قاعدة واسعة. انظر إلى الصورة رقم (٥٦) وهو واقع على خط العرض ٠١° ٤٩َ ٢٢ُ وخط الطول ٣٠° ٣٤َ ٤١ُ. وانظر إلى موقعه على الخارطة رقم (٥).

صورة رقم (٥٦) علم في متعشى «بَلدَ» وسط حرة كشب عند بلدة «الحفَيِّرة».

وباجراء القياسات اللازمة تبين أن هذا الميل أو العلم المجاور للحفيرة يبعد عن منزل
ثمانية عشر كيلاً أي: ثمانية أميال كما ورد في النص المتقدم وهذا التطابق بين النص
والقياس على الواقع يؤكد لنا أن ماء الحفيرة هو منزل متعشى «بَلَد».

من الحفيرة أو بالأصح «بلد» حاولنا السير باتجاه منزل «مَرَّان» ولكن وعورة مسالك
الحرة أجبرتنا على أن نتتبع القيعان ومجاري السيول الأمر الذي حال بيننا وبين مشاهدة
بعض أعلام الطريق في الحرة.

وبعد قاع يسمى «قاع نَبْحَة» عثرنا على أحد الأعلام وهذا العلم واقع على خط العرض
٢٢° ٤٥' وخط الطول ٢٠° ٣١° ٤١'.

من هذا العلم واصلنا المسير باتجاه مَرَّان ولكن قيادة السيارة أصبحت على ماتشتهيه
الحرة وليس على مانشتهيه نحن حيث اتجه بنا الطريق إلى جهة الشمال إلى أن قاربنا نهاية
الحرة من جهة الغرب فسلكنا طريقاً يتجه جنوباً فاعترض لنا طريق الحج القديم عندما
خرجنا من الحرة وإن كانت الأرض وعرة، وفي هذا المكان شاهدنا بعض أجزاء من الطريق
محددة بالحجارة، كما شاهدنا بعض علامات الطريق على المرتفعات.

وقد تعرج بنا هذا الطريق حتى وصلنا إلى المكان الذي انطلقنا منه وهو «المويه
القديم».

وبهذا أنهينا هذه الرحلة المثيرة والمفيدة في الوقت نفسه.

منزل مران والشبيكة

مَرَّان: هو المنزل بعد «قبا» ومتعشى «بَلَدٍ» وقد تحول المنزل منه لضيق مكانه إلى موضع قريب منه اسمه الشبيكة، ويقع مران في طرف حرة كشب من جهة الجنوب الغربي، وهو الآن بلدة عامرة، ولم يطرأ على اسمه القديم أي تغيير. وهذه بعض أقوال المؤرخين عن مران:

أولاً: قال أبو إسحاق الحربي:

(..ومَرَّان دون الشبيكة بثلاثة أميال، فيه ماء كثير وآبار عذبة، ونخل ومقل، وكان المنزل الأول، فحول إلى الشبيكة[1]).

ثانياً: قال صاحب كتاب «بلاد العرب» وهو يصف الطريق من اليمامة إلى مكة:

(ثم مَرَّانُ، وهو ماء وقرية غَنَّاءُ كبيرة ونخيل. ثم تجوز مَران فترد الشَّبكة، وهي ماء عليه تجار[2]).

ثالثاً: قال ياقوت الحموي:

(مَرَّان: ... قال السّكري هو على أربع مراحل من مكة إلى البصرة، وقيل: بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً وفيه قبر تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وقبر عمرو بن عبيد ... وقال الحازمي:

بين البصرة ومكة لبني هلال من بني عامر، وقيل: بين مكة والمدينة، وقال عرام عند ذكره الحجاز: وقرية يقال لها مران: قرية غنّاء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع وهي على طريق البصرة لبني هلال وجزءٌ لبني ماعز وبها حصن ومنبر وناس كثير[3]).

---

(١) المناسك: ص ٦٠١.

(٢) بلاد العرب: ص ٣٧٢.

(٣) معجم البلدن: ص٥/ ٩٥.

تعليق على قول السُّكري:

جاء في كلام السكري: أن مَرَّان على أربع مراحل من مكة وهذا قول صحيح لأن هذه المراحل الأربع هي:

من مران إلى وجرة، ومن وجرة إلى ذات عرق، ومن ذات عرق إلى البستان، ومن البستان إلى مكة.

أما قوله: بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً فهذا غير صحيح. إذ كيف يقال: إن مران على أربع مراحل من مكة ثم يقال: إن بينه وبينها ثمانية عشر ميلاً؟!

ويتضح لنا أكثرَ خطأُ هذا القول عندما نعرف أن مرحلة واحدة من هذه المراحل الأربع وهي مابين مران ووجرة مسافتها ثلاثة وأربعون ميلاً.

ويبدو لي أن السُّكري أو من أخذ عنه التبس عليه أمر مَرَّان فظنه «مَرَّ»، ومَرٌّ، أو مَرّ الظهران واقع في الطريق بين مكة والمدينة وليس بين مكة والبصرة وبعده عن مكة يقارب المسافة المذكورة فانتبه لذلك فهذا أقرب للصواب لن أطيل الكلام عن مران لأنه معروف باسمه حتى الآن.

الشُّبَيْكَةُ:

تحول منزل الحاج من مَرَّان إلى «الشبيكة» وهذا المنزل من المنازل التي تغيرت أسماؤها مما جعلها غير معروفة لنا. ولعلنا نلقي نظرة على النصوص التي تحدثت عن الشبيكة لعلنا نهتدي إلى تحديد مكانها بدقة:

أولاً: قال الحربي:

(ثم الشبيكة: ومن قبا إلى الشبيكة سبعة وعشرون ميلاً، وبالشبيكة آبار طيبة قريبة الماء. وعلى واحد وعشرين ميلاً من الشبيكة موضع يقال له بسيان ...[1])

---

(١) المناسك: ص ٦٠١.

ثانياً: قال ياقوت:

(الشُّبَيكةُ ... قال محمد بن موسى: الشبيكة، بالكاف. بين مكة والزاهر على طريق التنعيم، ومنزل من منازل حاج البصرة بينه وبين وجرة أميال..[1])

ثالثاً: قال صاحب كتاب بلاد العرب:

(.... ثم تجوز مَرَّان فترد الشبكة، وهي ماء عليه تجار[2])

رابعاً: قال الهمداني وهو يصف الطريق البصري للعائد من مكة:

(وأسفل من بُسْيان النثراوات[3] وهي هضاب ثلاث، ثم ترد الشبكة شبكة الكراع ثم قبا وعليه بهش[4] ونخل وخراب وهو لعامر بن ربيعة[5])

هذه أقوال علماء البلدان عن الشبيكة. ونلاحظ أن الأصفهاني، والهمداني، ذكرا اسمها بصيغة التكبير « الشَّبَكَة» ونسبها الهمداني إلى الكُرَاع فسماها «شبكة الكُراع» ورغم هذه الأوصاف لمنزل الشبيكة إلاَّ أننا لانزال نتساءل ونقول:

أين تقع الشبيكة بالتحديد وماهي؟! ولعلنا من خلال الرحلة الميدانية نعثر عليها إن شاء الله تعالى.

الرحلة الميدانية للبحث عن الشبيكة:

اعتدت في رحلاتي الميدانية أن أضع خارطة تقريبية أضع عليها المكان الذي أتوقع فيه الموضع المراد، وقد رسمت على الخارطة التي أعددتها عند القيام بهذه الرحلة خطاً من بلدة « مران» باتجاه القبلة طوله ستة أكيال تقريباً انتهى طرفه قرب واد هناك اسمه «وادي السُّليْم».

---

(١) معجم البلدان: ص٣/ ٣٢٤.

(٢) بلاد العرب : ص ٣٧٢.

(٣) تصحيف النَّقْرَاوات.

(٤) البهش : مص المقل مادام رطباً، والمَقْلُ : ثمر شجرة الدوم وهي شجرة تشبه النخلة.

(٥) صفة جزيرة العرب : ص ٢٨٧.

فقلت: قد تكون آبار منـزل الشبيكة في هذا الوادي. ولما كان الأخ عبـد العزيز الشائع المقيم في الطـائف يتردد سنـوياً على قـرى تلك النـاحية بحكم عملـه، فقد اتصلت بـه وطلبت منه إشعـاري عندما يقرر زيـارته إلى ناحيـة «مران» لعلنا نهتدي إلى مكـان منزل الشبيكة كما اهتدينا إلى متعشى «بلد» من قبل.

وبعد فترة اتصل بي مشكوراً محدداً الوقت والمكان الذي نلتقي فيه على مفرق طريق امران» من الطريق السريع بين الرياض والطائف.

وفي الموعد المحـدد التقينا بعد العصر، وكان يصحبه عدد من رجـال التعليم بمدينة الطائف جاءوا لزيارة مدارس بلدان هـذه الناحية كل في مجال تخصصه، وكنت الغريب من بينهم في مجال اختصاصي.

لقد قضيت مع هذه النخبة الطيبة أمسية ممتعة في رملة أبرق ممتد هناك يسمى «إِنَا»، ويقابله من الشمال أخوه الصغير «إِني».

كان المبيت مقرراً في هذا المكان، ولكن حـدث مالم يعمل حسابه حيث لمع البرق وقصف الرعد وهطل المطـر مما اضطر أمير الجماعة أن يقـرر الرحيل للمبيت في إحدى مدارس القرى القريبة من المكان .

وفي إحـدى مـدارس بلدة «مَـرَّ ان» كـان المبيت، وفي مكتبـة المـدرسة التي تـزخـر بالكثير من الكتب القيمة قضيت بعض الوقت، ولكن لـدغات البعوض القارسـة حالت بيني وبين متعة المطالعة فقررت الذهـاب إلى الفراش ورغم الأغطية فإن البعوض كان له النصيب الأوفر من اللسع فارتفعت أصوات من تحت الأغطية : ماهو الحل ؟.

فقرر الجميع الـرحيل إلى البريـة بعيداً عن مـران ومياهـه وبعوضه، ولـم يطبقوا المثل القائل (ما يحِدّ على مَرَّان إلاَّ أمَرّ منه).

فابتعدنـا عن مران في رملة جنوبي الحـرة، وهناك في جو خال من البعـوض وقد كَفَّ المطر أكملنا بقية ليلتنا.

من المصادفات العجيبة أن يكون خمسة من أفراد هذه الرحلة من قبيلة «بني تميم» مع اختلاف بلدانهم وأحدهم محرر هذه الأسطر، وكان أحدهم عند غروب الشمس بالأمس يتحدث عن جَدِّه «تميم» وأن قبره في «مَرَّان» فقلت له في الصباح مداعباً: إن جَدَّك لم ينفعنا بشيء ليلة البارحة حيث تركنا طُعْماً للبعوض الذي يشبه العصافير!!

كان من عادة هؤلاء الإخوان أن يتخذوا من شجرة سَرْح كبيرة مشهورة في وادي «السُّلَيْم» مكاناً لتجمعهم بعد انتهاء أعمالهم في القرى المجاورة.

وهذا الوادي هو الذي حددت «الشبيكة» في أعلاه، وقد بقيت وحدي تحت السرحة فشاهدت صاحب غنم فاتجهت إليه فإذا هو رجل كبير السن يتوكأ على عصاه. فسألته عما إذا كان يعرف في أعلى هذا الوادي آباراً قديمة فأجاب بالنفي، وعندما قلت له إن الآبار التي أسأل عنها كان يردها الحاج عندما كانوا يحجون على الإبل فقال: أقدم آبار كان الحاج يردونها هي آبار «دُغَيْبِجَة» ثم أردف قائلاً: عندما كنت صغيراً كنا نجلس بالقرب منهم تحت الأشجار فيعطوننا مما معهم من «حَلاَوْ».

وقبل أن يبتلع الشيخ ريقه الذي جمجم عندما ذكر الحلاو الذي كان يهديه لهم الحاج كان الأخ عبد العزيز يقف ومعه رجل أحضره مشكوراً؛ حيث اتفقت معه بحكم معرفته لأهل البلد أن يسأل عن رجل متقدم في السن يوثق به للاستعانة به.

وكان مَنْ أحضره رجلاً مسناً سمح المظهر لطيف المعشر اسمه «فيحان بن شرار الذيابي»، وقد أبدى الرجل استعداده لمرافقتي إلى أي مكان أريده.

ومع أن العم فيحان أكد لي أنه لايوجد في أعالي وادي السُّليم موارد مياه إلا أنه من باب الحيطة تجولنا في أعلاه، وعندما لم أجد أثراً سلكنا طريقاً يتجه إلى مَرَّان يمر من فوق كراع ممتد من الحرة يفصل بين وادي السليم ووادي دغيبجة، وأعلام الطريق واضحة فيه وعندما هبطنا وادي دغيبجة قال لي: تيامن قليلاً. فأوقفني على عدد من الآبار المدفونة قد لايلحظها إلا من خبرها وهي تورد. قال: هذه آبار دغيبجة القديمة.

(١) دليل

وبعد التجول حول المكان لاحظت آثار مبان جاثمة قد تكون مساكن صغيرة أو أنها لساكن التجار الذين أشار اليهم صاحب كتاب بلاد العرب في قوله المتقدم: (فترد الشبيكة، وهي ماء عليه تجار.).

وقد تكون هذه الآبار هي التي مر عليها الرحالة الأوربي ـ لوريمر ـ حيث قال وهو يصف الطريق من الكويت إلى مكة المكرمة بعد أن دخلت القافلة التي كان موجوداً معها «حرة كشب»

قال: (بعد ساعة تمر على عشرين بئراً من الماء الحلو على عمق ١,٥ قامة تسمى «دغيبية»، وبعد ست ساعات تصل حليان حيث التلال على جانبي الطريق ثم يخرج الطريق من حرة كشب[1]).

من هذا النص يتبين لنا أن آبار دغيبجة «الشبيكة قديماً» يصل عددها عندما كانت ترد إلى عشرين بئراً، وذلك عندما مر بها لوريمر، وتعدد الآبار وقرب الماء يدل على سبب تسميتها بالشبيكة؛ حيث كان العرب قديماً يطلقون اسم الشبيكة أو الشبكة على مثل هذه الآبار المجتمعة.

ويلاحظ أن لوريمر أسماها «دغيبية» وهذا التصحيف ناتج إما من فهم لوريمر للفظ الاسم ممن أعلمه فكتب الجيم ياء، أو يكون التصحيف من الترجمة إلى العربية، وهذا ما أرجحه لأن كثيراً من أسماء المواضع ترجمت في هذا الكتاب خطأ؛ مثل «حرة كشب» ترجمت «حارة قشب» وهكذا.

أقول بعد إجراء القياسات اللازمة وتطبيق المسافات بالنسبة لبعد آبار «دغيبجة» عن بَرّان، وعن متعشى «بَلَدْ» تأكد لي أنها هي آبار «الشبيكة قديماً».

وقد أطلق اسم «دغيبجة» على بلدة حديثة أُنشئت بالقرب من هذه الآبار.

كما أن الهمداني في النص المتقدم أسماها «شبكة الكراع»، وهذا قول صحيح حيث نسبت إلى الكراع الممتد من الحرة الواقع عن الآبار غرباً يفصل بينها وبين وادي «السُّليم».

---

(١) دليل الخليج: القسم الجغرافي: ص٥/ ١٦٤٩.

أقوال مؤلفي عصرنا الحاضر عن الشبيكة:

أولاً: قال الأستاذ سعد بن جنيدل في كتابه « معجم عالية نجد»:

(دُغَيْبِجَةُ ... تصغير دغبجة : ماء مر قديم، يقع في حرة كشب، في طرف هذه الحرة الجنوبي الشرقي - يقصد الجنوبي الغربي - بين ماء مَرَّان وماء الخوارة، وكان يمر به طريق حاج نجد القديم ... ويعرف هذا الماء قديماً باسم دَغْبَجَ.

وفي التكملة: دَغْبَجَ مثال جعفر موضع قريب مرَّان ، قال الصاغاني مؤلف هذا الكتاب: وقد وردته وأقمت به ...[1]) انتهى

أقول: قد يكون صاحب التكملة ورد هذا الماء القريب من «مران» المسمى «دَغْبَجَ» قبل أن يتحول المنزل من مران إلى هذا الموضع، وبعد تحول منزل الحاج إليه حفرت فيه آبار كثيرة سميت بالشبكة أو الشبيكة، وعندما خربت منازل الطريق نسي المسمى المستحدث وبقي المسمى القديم «دَغْبَجَ» ولكنه ينطق بلفظ التصغير مع التأنيث حتى وقتنا الحاضر.

ثانياً: يقول الأستاذ عبد الله بن خميس في كتابه «المجاز بين اليمامة والحجاز»:

(دُغَيْبِجَةُ: ومن مياه (كشب) الجنوبية الواقعة قرب مران (دغيبجة) ولم أعثر لها على ذكر قديم فيما بين يدي من المراجع ولعلها التي كان يطلق عليها قديماً «الشبيكة» بينها وبين مران ثلاثة أميال قال في كتاب « المناسك»:

وبالشبيكة آبار طيبة الماء . . .[2])

أقول: صدق حدس أستاذنا عبد الله بن خميس فآبار «دغيبجة» هي آبار منزل «الشبيكة» لأن جميع الدلائل تؤكد هذا ولا مياه قديمة غيرها واقعة على الطريق في هذا المكان.

---

(١) معجم عالية نجد: ص٢/ ٥٢١.

(٢) المجاز: ص ١٩٥.

وآبار الشبيكة واقعة على خط العرض ١٠° ٣٥' ٢٢" وخط الطول ٠٩° ٢١'
١٤ وتبعد عن بئر «الخُضَيْراء» في مَران التي يقال: إنها أقدم بئر فيه مسافة خمسة أكيال وستمائة وأربعين متراً، وهذا يوحي أن مكان المنزل القديم في «مران» يبعد عن بئر الخضيراء إلى جهة الشمال الشرقي بمسافة ثلاثمائة وخمسين متراً فقط ولاشك أن منزل مران تشمل مساحته هذا الفارق في القياس .

انظر إلى صورة بئر الخضيراء القديمة رقم (٥٧) ومنظر ما يقع عنها شرقاً الصورة رقم (٥٨) وهو ما يبدو لي المكان الذي يوجد فيه منزل الحاج قبل تحويله إلى الشبيكة:

المنظر رقم (٥٧) بئر « الخُضَيْراء» في «مَران» ويقال إنها أقدم بئر فيه.

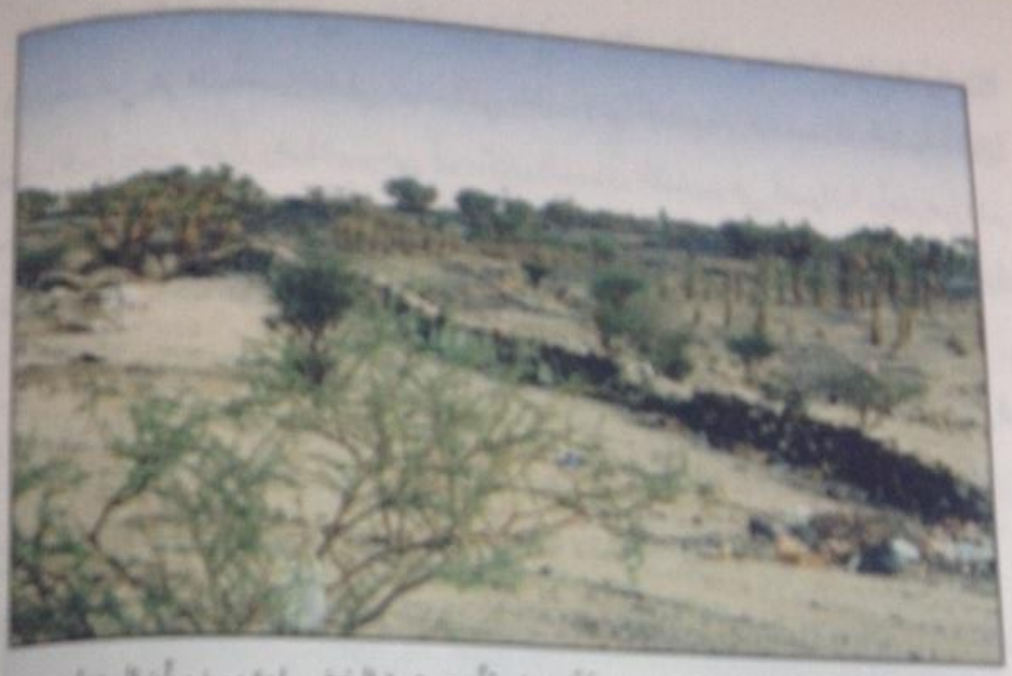

المنظر رقم (٥٨) منظر جنوبي بلدة «مران» شرقاً من بئر «الخضيراء» ويبدو أن المنزل القديم كان في هذا المكان. ويرى في الصورة كثرة أشجار «الدوم» وهو: (المقل).

والآن وقد توصلنا إلى معرفة هذا المنزل من منازل طريق الحج البصري دعونا نسير باتجاه القبلة.

إن سلوك هذا الطريق فيه صعوبة لأننا لازلنا في طرف حرة كشب الجنوبي الغربي ولكن العم فيحان عارف بمسارب الحرة فسلك بنا أيسرها.

كنا نسير بمحاذاة طريق الحج القديم وبالقرب من «النّفراوات» شاهدت بعض أعلام الطريق لازالت واضحة وبالقرب من الهضبة المسماة «نفراء الطريق» وقفت على جزء من الطريق محدد بالحجارة ليسهل سير الابل معه ولتحديد الاتجاه الصحيح للمسافرين حيث أنهم سيدخلون أرض «الشّي» وهي صحراء يتيه فيها الناس لخلوها من الجبال.

وهذه الهضبة سميت «نفراء الطريق» لأن طريق الحج القديم يمر من جهتها الجنوبية وهي أطرف النفراوات من جهة الشمال.

انظر إليها وإلى الطريق المحدد بالحجارة الصورة رقم (٥٩)

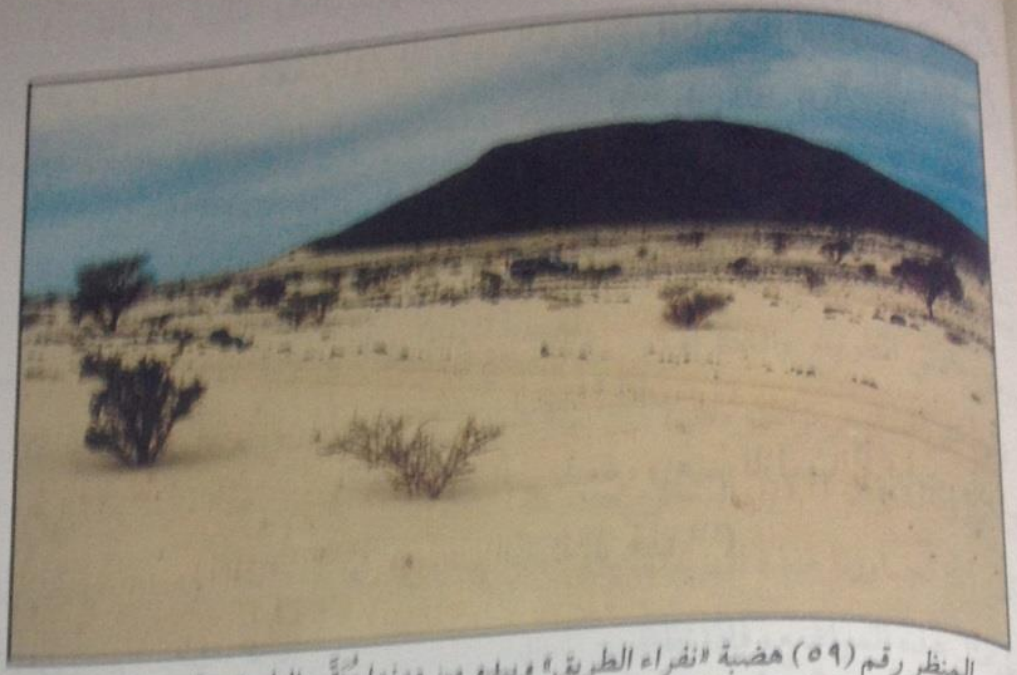

المنظر رقم (٥٩) هضبة «نفراء الطريق» ويبدو من دونها مُنقّى الطريق وقد حده من جانبيه بالحجارة إلا أن الرمال دفنته مع مَرّ السنين.

وقفة عند النفراوات:

النَّفْراواتُ: من الأعلام ذات الشهرة التاريخية، ولم يطرأ على مسماها أي تغيير.

ومما أكسبها شهرة حدوث يوم من أيام العرب بالقرب منها حيث قتل في هذا اليوم الملك «زهير بن جذيمة العبسي». ومن قصته أنه كان يأخذ الإتاوة على قبيلة هوازان فأتته يوماً امرأة عجوز من بني نصر بن معاوية بنحي فيه سمن واعتذرت إليه فلما ذاقه لم يعجبه طعمه فوكزها بقوس كان بيده في صدرها فاستلقت على قفاها فتكشفت، فحلف «خالد بن جعفر» من بني عامر قائلاً:

والله لأجعلن ذراعي في عنقه حتى يقتل أو أقتل.

وقصة هذه الوقعة مبسوطة في المراجع التاريخية. أما علماء البلدان فمن أقوالهم عن النفراوات:

قول أبي عبيد البكري في رسم «رُكْبَة»:

متعشى بسيان

بُسْيَانُ: موضع يستريح فيه الحاج عندما يصدرون من منزل « الشبيكة» إلى منزل «وجرة» وهذا المتعشى من المواضع التي لم تحدد بشكل واضح حيث يلحظ القارىء عدم الدقة في تحديده عند الباحثين في وقتنا الحاضر. ولكي نناقش ماقالوه حول بسيان على بينة من الأمر فلابد من الوقوف على هذا المتعشى أولاً:

الزيارة الميدانية لبسيان:

لقد انتهزت فرصة وجودي بالقرب منه عندما قمت بالرحلة الخاصة بتحقيق «منزل الشبيكة» فاستأذنت الإخوان عندما قرروا العودة إلى الطائف بأن أنفصل عنهم لأن طريقهم سيكون مع الطريق السريع المزفت، أما أنا فسأتجه باتجاه القبلة مع طريق الحج القديم لاسيما وقد سلكت أصعبه مع العم «فيحان» هذا الصباح، ولكن الأستاذ عبد العزيز الشايع أصر مشكوراً إلا أن يصحبني للبحث عن متعشى بسيان.

وبعد صلاة العصر سرنا على بركة الله، وعندما خلفنا «النفراوات» التي كنت عندها في الصباح انقطعت الحرة والجبال فصرنا نسير مع أرض مستوية كراحة اليد. إنها أرض «السِّي» التي وصفها القدماء بأنها مأوى اللصوص، وأنها بلد مَضَلَّة يتيه فيها المسافرون لعدم وجود أعلام فيها، مثل التلال والجبال. ولكن علامات الطريق واضحة للعيان بحيث يشاهدها السائر متتابعة على خط مستقيم باتجاه بسيان. وهي عبارة عن أكوام من الحجارة جلبت من مكان آخر لخلو أرضها من الحجارة وقد لاحظت في هذا الجزء من الطريق أن هذه الأعلام متقاربة بحيث لايبعد كل علم عن الذي يليه إلا أقل من كيل واحد ونصف، ولم أجد لذلك تفسيراً إلا أن واضعيها أخذوا بعين الاعتبار طبيعة استواء الأرض، وكونها مخوفة من غارات اللصوص.

...ك وبفضل من الله لم نضل فيها فقد شاهدنا مرتفع بسيان من بُعْدٍ فاتجهنا إليه، وقد ...ثنا عن آثار المتعشى بالقرب منه إلا أننا لم نجد شيئاً فاتجهنا إلى خيام بدو قاطنين ...لأمنه فسألناهم عن بسيان فأشاروا إلى المرتفع الممتد وقالوا: هذا هو بسيان. فقلنا: ...ي نسأل عنه هو آثار منزل من منازل طريق الحج القديم فقالوا: إنه ليس بعيداً من ...ا وقد تطوع أحدهم وركب سيارته وقال: اتبعوني. فأوقفنا على آثار متعشى «بسيان».

...وما بقي مشاهداً منها على سطح الأرض في الوقت الحاضر هي: أساسات مساكن ...زة مستطيلة الشكل، ودوائر قد تكون آباراً انطمرت مع مرور الزمن:

...ما البركة فلم نشاهد لها أثراً، ونرجح أن البركة أو البرك كما جاء في النص واقعة ...جوار المساكن من الناحية الجنوبية.

انظر إلى أساسات مباني المتعشى الصورة رقم (٦٠).

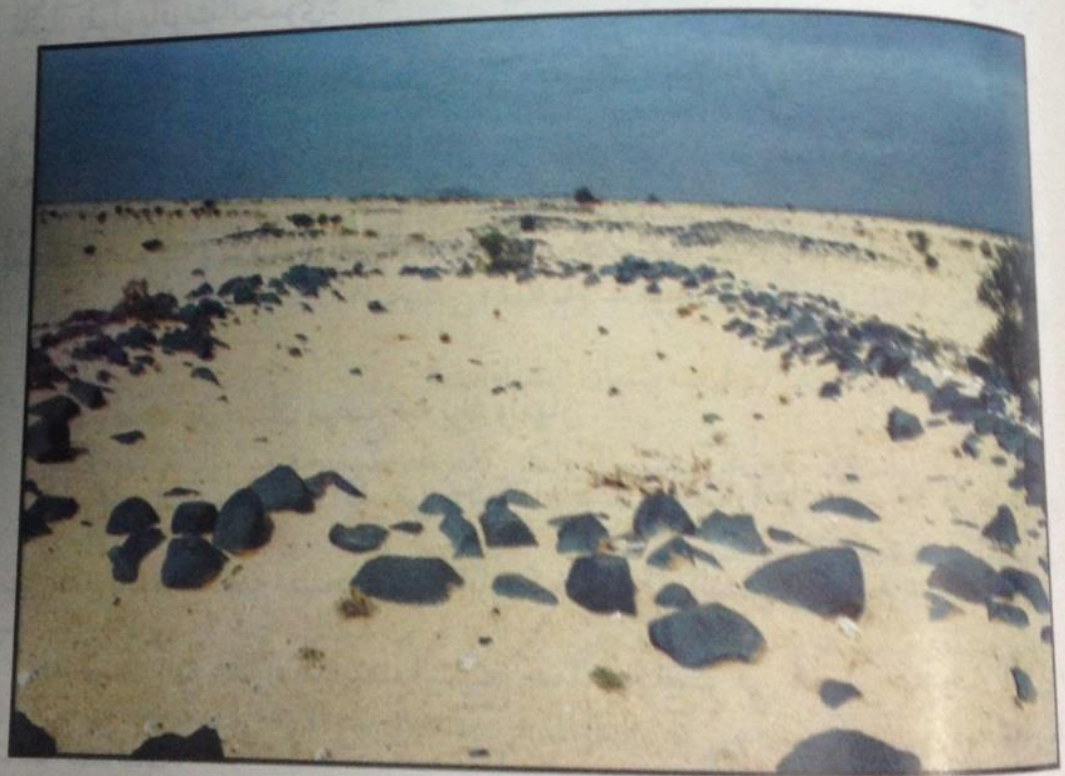

المنظر (٦٠) آثار مباني متعشى بُسيّان وترى هضبة «نفراء الطريق» من بُعد.

والقاطنون حول هذه الآثار يسمونها «جَرّة» ويبدو لي أن هذا الاسم مستحدث ليفرق بينه وبين منزل «وَجْرة».

ومتعشى بسيان واقع على خط العرض ١٣° ٢٤' ٢٢" وخط الطول ١٣° ٠٤' ٤١".

وكنا قبل الوقوف عليه نحسبه واقعاً بجوار مرتفع «بسيان» ولكن اتضح بعد المشاهدة على الواقع أنه بعيد منه حيث يبعد عنه جهة الشمال ثمانية أكيال تقريباً، ولكنه سمي باسمه لأنه أقرب علم بارز في هذه الأرض المستوية.

أقوال قدماء علماء البلدان عن بسيان:

أولاً: يقول أبو إسحاق الحربي:

(وعلى أحد وعشرين ميلاً من الشبيكة موضع يقال له بُسْيان فيه بركة وآبار، وعن يساره جبال يقال لها النقراوات...)[1]

ثانياً: يقول ياقوت الحموي:

(بُسْيانُ: بالضم، قال الأصمعي: بُسٌّ وبُسيانُ جبلان في أرض بني جُشَم ونصر بن معاوية بن بكر بن هوازن . . . وحكى أبو بكر محمد بن موسى ثم وجدته في كتاب نصر أن بُسيان موضع فيه برك وأنهار على أحد وعشرين ميلاً من الشبيكة بينها وبين وجرة ...)[2]

أقول:

قول ياقوت: إن بسيان موضع فيه برك وأنهار.

يدل على أن بسيان فيه أكثر من بركة، أما قوله «وأنهار» فإنه لا يوجد في هذه الجهة أنهار فقد تكون الكلمة مصحفة من «آبار» كما ورد في النص المتقدم عن الحربي.

وقد أشار إلى هذا التصحيف الشيخ حمد الجاسر في هامش صفحة (٦٠١) من كتاب المناسك.

---

(١) المناسك: ص ٦٠١.

(٢) معجم البلدان: ص.

أقوال مؤلفي عصرنا عن بسيان:

أولاً: يقول الشيخ حمد الجاسر في تعليق له على كتاب المناسك:

(... اسم بسيان يطلق على تل مرتفع من الأرض ليس بالعالي، ولكنه في أرض مستوية كالراحة. في وسط ركبة، فيشاهد من بعد كأنه جبل مرتفع وبقربه بركة كبيرة لا تزال مجمعاً لماء المطر، نبت حولها السرح، تسمى بركة الخرابة تقع في الجنوب الغربي من النفراوات وغرب بسيان النفراوات - وتسمى النفر أيضاً - لاتزال معروفة، جبيلات أو آكام مرتفعة إذ ما يحيط بها أرض براح مستوية.[1])

التعليق:

إن الوصف المتقدم لا ينطبق على «بُسْيَان» وإنما ينطبق على منزل « وَجْرَة» فهي التي تسمى الآن «الخرابة»، وقد يكون الناسخ خلط بين قولين للشيخ حمد عرف في أحدهما بسيان وعرف في الآخر وجرة فتداخل الكلام.

والشيخ حمد الجاسر لا يخفى عليه «بسيان» فقد وصفه لنا في هامش صفحة (١٢) من كتاب «بلاد العرب» بقوله: بُسْيَانُ : آكام مرتفعة، في صحراء ركبة تشاهد من بُعْد، بعد الاتجاه من (عشيرة) إلى (المويه)، لوقوعها في صحراء مستوية) انتهى

ولي ملاحظة حول قوله: (وغرب بسيان النفراوات).

حيث أن النفراوات لا تقع غرب بسيان ولكن تقع عنه شرقاً مع ميل إلى الشمال.

ثانياً: يقول الأستاذ عبد الله بن خميس:

(وعلى مسافة خمسة وعشرين ميلاً من (مران) غرباً هنالك جبل (بُسْيَان) جبل ليس بالكبير متطامن، يبرزه للعيان من بعد انفراده في منبسط من الأرض، ليكون كبيراً في رأي

---

(١) كتاب المناسك : هامش : ص ٦٠١.